سلسلة مقالات

تاريخ الفكر الحكمي لمدرسة الشيخ الأوحد

{ 4 - 1 }

الكاتب

فضيلة الشيخ سعيد القريشي

تاريخ الفكر الحكمي لمدرسة الشيخ الأوحد { 1 - 4 }

توطئة :إنَّ كل علم بمراحل تطوره المختلفة قد سُجلت تحت عنوان (تاريخ العلم الفلاني) وهذا التأريخ يشمل :تسجيل بداية هذا العلم ونهايته . مراحل تطوراته المختلفة . العلماء المؤسسين لهذا العلم . أهم النظريات التي برزت في تأريخ هذا العلم . التطبيقات المهمة والدراسات التي لها أثر إن وجدت .

ونحن هنا في هذه الدراسة لن نسير على هذا المنوال تماماً ، بل سنعمل على منهج خاص في هذه الدراسة ، وذلك لطبيعة الدراسة المتناولة هنا ، حيث لا توجد عدة مدارس مختلفة متصارعة ، بل مدرسة واحدة عظيمة مرت بمراحل جليلة ، فالدراسة لها جانب أحادي ، من هنا سنسلك هذا المنهج :

تسجيل بداية هذه المدرسة ونشوئها .
تطورات هذه المدرسة التأريخية .
ترجمة علماء هذه المدرسة بالترتيب التأريخ ، الأول فالتالي .
ذكر أهم نظريات هذه المدرسة وإبداعاتها الحكمية .
ذكر أهم مصادر ومراجع هذه المدرسة .
مقارنة هذه المدرسة مع المدارس الأخرى .

مرحلة النشوء والازدهار

ولد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (1161هـ / 1241 هـ) في قرية تسمى بالمطيرفي من الأحساء من الجزيرة العربية .
وبما أن كل مفكر ومبدع وليد بيئته ونتاج لظروفها ففيلسوفنا ولد ونشأ في بيئة تفتقد ليونة العيش وجمال الطبيعة سوى أشجار النخيل التي تملأ المكان . كانت بلدته تعجّ بالجهل والخرافات ونوع من الهمجية وميلٍ إلى ملاهي الحياة كما تحدث عنهم في سيرته بخط يده (1) .
من هنا نستشف صعوبة خروج عرفاني عظيم كالشيخ الأحسائي بل من الصعب خروج من هو أقل منه شأناً، سواء في العلم أو في العرفان الذي يحتاج إلى خضر خاص ، كما سموه العرفاء .

من هنا يأتي قيمة الاستفهام لمن درسوه ،كيف خرج هذا العبقري من تلك الكومة من الجهل وعلى الأخص في قريته (المطيرفي) .
وهو هنا وكأنّه يعلم قيمة هذه الاستفهامية الجديرة بالعناية ، فقد تحدث بإسهاب في سيرته لولده (محمد تقي) أكبر أولاده عن سبب علمه الجم وإبداعه اللامتناهي لا سيما في الحكمة الإلهية .
وكان ذلك السبب هو اتصاله بأهل البيت العصمة والطهارة عليهم السلام .
فالقارئ لتلك السيرة المزبورة يجد أموراً كالتالي :

إنه لم يتعلم على يد أحد سوى دراسته (التحفة السنية و عوامل الجرجاني) وهي كتاب في النحو يدرسوه المبتدئون .
إنه جاهد جهاداً نفسياً وعبادياً حتى وصل إلى مقام القرب من الله ثم فتح له باب الرؤية لأهل البيت عليهم السلام ، فكان يراهم واحداً تلو الآخر .
إنه كما صرح تعلم كل العلوم في المنام عن طريق محمد وآل محمد عليهم السلام .
إنه يعرض كلما تعلمه على الكتاب والسنة فيبحث عن موافقة ذلك لهما .
إن كل ما حصل له من غريب الأطوار والحالات كله بسبب الإخلاص وحسن العقيدة والطاعة لله سبحانه .

وفي سنة (1186هـ / 1772م) خرج من الأحساء نتيجة الظروف السياسية إلى (العراق) وكان عمره عشرون سنة ، من هنا انطلقت حركته الإصلاحية وبدء التأسيس لمدرسته في الحكمة الإلهية . ففي أول محطة من هجرته نحو نشر فكره في المجتمع الشيعي ، فالتقى في هذه المحطة كل من آية الله الشيخ محمد باقر البهبهاني في كربلاء ، والسيد مهدي بحر العلوم ، والشيخ جعفر كاشف الغطاء في النجف .
وبعد طاعون أصاب العراق عاد شيخنا إلى الأحساء حيث تزوج ، برز بعدها في الأحساء وظهر اسمه ، ثم نـزل البحرين (1208 هـ / 1793م) في شهر رجب (1212 هـ / 1797م) رجع للعراق ثانية للزيارة زار في هذه الفترة (النجف ، وكر بلاء ، والكاظمية ، وسامراء) ثم سكن البصرة ثم ذهب إلى (الدورق) وبعد هجوم الوهابية على كر بلاء نـزل (البصرة) وفي السنة (1221 هـ) سافر إلى إيران ولما نزل إلى (يزد) التقى بالشيخ جعفر كاشف

الغطاء النجفي هنا وعرضوا عليه البقاء عندهم ووعدهم بذلك بعد الزيارة الإمام الرضا (ع) وحقق شيخنا وعده ورجع إليهم.

هنا في (يزد) تعتبر من أهم المراحل التاريخية التي ساعدت على تأسيس فكر الشيخ الأوحد (قد) حيث اجتمع حوله أهل (يزد) ، ثم سمع به الشاه القاجاري " فتح علي شاه القاجاري " حيث طلب الشاه من الشيخ عن طريق المراسلات الكثيرة مجيء الشيخ إلى العاصمة مكرماً معززاً ، ولكن شيخنا رفض ذلك هرباً من الزعامة وتبعاتها . ولكن شيخنا استفاد من إقامته في (يزد) فكان له نشاط :

- إقامة مجالس الوعظ .
- التدريس بجميع مستوياته .
- تأليف الكتب وجعلها على شكل إجابات لرسائل وكلها من علماء فضلاء .
- نشر فكر أهل البيت ضد الفكر الغريب عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، لا سيما الفلسفة اليونانية .

استفاد شيخنا من جميع سفراته السابقة وعلى الأخص هنا في (يزد) في بلورة مرجعيته الفكرية لا سيما في شأن الحكمة الإلهية ، وكان بحق ومن خلال استقرائنا لكل رسائله كان مرجعاً فكرياً عظيماً يبهرك بأسلوبه واستدلاله ومنهجه وفكره الشمولي الموسوعي .

ثم استجاب شيخنا للشاه وذهب إلى (طهران) واستقبل استقبالاً عظيماً من قبل الشاه وأهل طهران ، وكانت مكانته تزداد يوماً بعد يوم لذلك كانت (طهران) محطة تأريخية مهمة في تدعيم مدرسة الشيخ ، وليس صحيحاً ما ذكره فؤاد إبراهيم في كتابه (الفقيه والدولة) أن الشاه استغل الشيخ الأوحد لصنع مؤامرة يسقط من خلالها رموز العلماء أصحاب الطريقة الأصولية.
فالشيخ صحيح إنه ذهب إلى طهران ولكنه رفض البقاء في البلاط الشاهنشاهي كما نقل السيد الرشتي في دليل المتحيرين (2) ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى الشيخ الأحسائي أصولي حتى النخاع ، فكيف يسقط الأصوليين أمثاله ،

لاشك أن الشبهة دخلت على الكاتب من اعتقاده الجازم بكون الأحسائي إخباري.
عاد شيخنا إلى (يزد) وواصل فكر أهل البيت وكان في إقامته هذه يصنع التلاميذ الكبار على مستوى العالمية (كأولاده) و (السيد كاظم الرشتي) و (ميرزا حسن كوهر) و (المامقاني) والد صحب صحيفة الأبرار ، الذين من بعده أو في حياته يحملون فكره إلى العالم أجمع والمجتمع الشيعي على شكل أخص.
لقد كان للشيخ رضوان عليه حوزة عامرة في المعقول والمنقول والعلوم الطبيعية سنين طوالاً في كل من كربلاء والنجف والبصرة وغيرهم وفي إيران كانت هناك قزوين ويزد وطهران وأصفهان وكرمان شاه وغيرها . وفي الأحساء والبحرين وغيرهما بل وصل الحال إلى درجة إذا نـزل الشيخ مدينة علمية تعطل جميع الدروس لكي يحضروا درسه (3).
يقول السيد محمد الطالقاني لقد تخرج من حوزته مئات العلماء ولكن النكسة التي أصابت مدرسته في المجتمع الشيعي جعلت الكثير من التلامذة نكران التلمذة عليه (4). ولكن من يبحث في كتب السيرة يجد كماً هائلاً من تلامذته من هؤلاء الأعلام (5):

1. إبراهيم بن عبد الجليل صاحب (تحفة الملوك في سرّ السلوك) .
2. السيد أحمد التبريزي المعروف بحوش نويس .
3. السيد أبو الحسن بن محمد حسين التنكابني خال صاحب (قصص العلماء) .
4. السيد أبو القاسم ابن محمد حسين التنكابني خال صاحب (قصص العلماء) أيضاً .
5. المولى آغا القزويني الحكيم .
6. الشيخ حسين الكرماني .
7. الشيخ زين العابدين الخونساري .
8. السيد ميرزا سليمان المدرّس اليزدي .
9. الشيخ شفيع التبريزي .
10. صاحب كتاب " الغيبة والرجعة . "
11. الشيخ عبد الخالق اليزدي .

12. الشيخ عبد الرحيم القره باغي .
13. الشيخ عبد الله بن إبراهيم آل عيثان .
14. الشيخ عبد الوهاب القزويني .
15. الشيخ علي الأوردبادي .
16. الشيخ علي البرغاني .
17. الشيخ علي السمناني .
18. المولى محمد حمزة شريعة مدار .
19. السيد محمد الخرساني .
20. الشيخ محمد شريعة مدار الأسترابادي الكبير .
21. الشيخ محمد الريحاني الأزهري .
22. الشيخ محمد .
23. الشيخ محمد الكنجوي .
24. السيد محمد بن الحسن الحسيني .
25. المولى محمود نظام العلماء التبريزي .
26. المولى مرتضي علم الهدى .
27. الشيخ مهدي بن محمد .

الكاتب: **الشيخ سعيد محمد القريشي** **المصدر:** **موقع الشيخ الأوحد**

---

(1)الشيخ أحمد الأحسائي ، سيرة الشيخ أحمد الأحسائي ، ص9.
(2)السيد كاظم الرشتي ، دليل المتحيرين ، ص 39.
(3)الشيخية ، ص83.
(4)المصدر السابق ، ص83.
(5)المصدر السابق ، ص84.

تاريخ الفكر الحكمي لمدرسة الشيخ الأوحد 2

مرحلة النكسة (حقيقة المؤامرة) :
لقد بلغ الشيخ الأوحد رتبة اجتماعية ، هي قمة ما يطمح إليه رجل دين في عصره وحتى بعد عصره . المجتمع الشيعي بمجتمع فئاته (سواء الناس ، العلماء ، الشاه نفسه) يقدسونه تقديساً مطلقاً.
بل أصبح المرجع الفكري الأول في عالم التشيع ، في علوم محمد وآل محمد لكأنه (المفيد) في عصره ، أو شيخ الطائفة وعصر المقلدة له.
إذا حضر مكاناً ، الحوزات الشيعية (الأكاديميات) تعطل لتحضر درسه ، وكل شخصية في حضوره تكاد تكون معدومة . كل هذه المكانة السامية مهدت لمرحلة (النكسة).

يقول السيد كاظم الرشتي (قدس) في دليل المتحيرين : (اعلم أنه لما تكررت زيارة الشيخ المرحوم للعتبات المشرفات ، ورجوعه إلى مسكنه الذي هو في " كرمان شاه " كانت نائرة الخلاف خامدة وعيون النفاق راقدة ، والألسن بفضل ذلك الجناب ناطقة ، وأنهار علومه في قلوب المستعدين متدافقة ، ولكنه لما أحب مجاورة قبر الشهيد المظلوم ، والسعيد المعصوم مولى العالمين ، الناظر في المشرقين والمغربين ، الواقف على التطنجين سيد الكونين وسند النشأتين ، مولانا أبي عبد الله الحسين ، مشتاقاً عارفاً متمكناً من التخلص عن ذلك المكان بعد معالجات كثيرة ، فلما قدم إلى المشهد المقدس والسدة السنية الحسينية ، على مشرفها آلاف الثناء والتحية ، متوطناً مستوطناً حازماً للمجاورة إلى أن يبلغ الكتاب أجله ، فيصل ما يؤمله).

فلما استقر به الجلوس مدة مديدة ، تحرك أهل الشقاق ، والذين في قلوبهم مرض النفاق ، وعدم الوفاق مع آل الله أهل الاتفاق وأتوا إلى جناب السيد المهتدي ، السيد مهدي بن المرحوم المبرور المغفور ، المير سيد علي تغمده الله بغفرانه ، وأوصله إلى دار رضوانه وشبهوا له وأتوا ببعض العبارات المحذوفة الأول والآخر والوسط والعبارات التي لا أنس لهم بها ، ولا معرفة

لهم بإصلاحها ، فذكروا له غير المراد ، وأظهروا الضغائن المستكنة في الفؤاد خوفاً على دنياهم الدنية ، شعراً:

تصيدت الدنيا رجالها بحبها
فأعماهم حب الغنا وأصمهم

ولم يدركوا خيراً بل استفتحوا الشرا
ولم يدركوا إلا الخسارة والوزرا

وزعموا أنه – أعلا الله مقامه – ربما له طمع في الرئاسة منه ، التي مدتها قليلة ، وفائدتها يسيرة ، وعاقبتها وخيمة ، وعقوبتها أليمة ، ولم يعلموا أنه لا طمع فيها ، ولا رغبة له إليها ، لعلمه بعاقبتها ، ومعرفته بحقيقتها ، فموهوا على جناب السيد ، ولبسوا عليه الأمر ولم يعلم ، لصدقه وغفلته مما هو مرادهم من إظهار ضغائن صدورهم وفساد ضمائرهم ، فأصغى إلى مقالتهم ، وسمع حكايتهم . وقال : إن الأمر قد اشتبه عليّ ، فأظهر الإعراض وأغضى عن ما عليه المذهب من عدم الاعتبار بالخطوط والقراطيس ، لا سيما إذا كانت محذوفة الأوائل والأواخر ، ولم ينظر إلى بصيرته الصافية من أن تلك العبارات والإشارات لهجة قد غابوا عنها . ولم يكونوا من أهلها . وأن اصطلاحات أهل كل فن يؤخذ منهم . ومعاني كل لغة تسأل عن أهلها . ولا تعرف إلا منهم ، ولم يتأمل إلى أن أظهر الإعراض والكلمات الغليظة الغير مناسبة مما يوجب الفتنة الشديدة . والمحنة الغير السديدة.
والناس أهل الشرور والمفاسد يطلبون الفتنة ، ويحبون وقوع المحنة ، ربما يصيبهم بعض المنال الدنيوي والعرض الزائل الذي قاله الخسران ، وعاقبة الحرمان.
فلما أظهر جناب السيد الإعراض وتفوه بكلمات لم تناسبه زادوا في كلماته كلمات وفي عباراته عبارات . وشهروها بين العوام ونشروها عند الطغام . فثارت نائرة الفتنة وهاجت إعصار المحنة . وشهروا عند الخلق من العوام من الرجال والنساء أن الشيخ أحمد قد كفر . فلما سئلوا عن السبب يسندونه إلى السيد . وهو غافل غير قائل . وإذا سئل السيد يجيبهم بأن الناس يقولون وأنا ما أقول . ولا تحقق عندي شيء ناقصاً لجيبه مبرئاً لعيبه . والناس بين هذا الترديد

. بسعي أهل الضلال والتضليل بتوا في شبهة عظيمة وتشويش . ثم عقدوا مجلساً وأحضروا أهل الحل والعقد لو شئت لسميت بأسمائهم [1] . ولأومأت إلى أشخاصهم . ولكني من أمرهم قد تكرمت.
وبالجملة : عقدوا مجلساً ليكتبوا سجلاً في تكفير ذلك العالم الرباني وينقشوا صحيفة في بطلان عقائد ذلك النور السبحاني) [2].

الإفرازات الاجتماعية للنكسة يعددها السيد الرشتي في دليل المتحيرين [3]:

1- أقام شخص بكتابة كتاب يذكر فيه مذاهب الإلحاد والزندقة والصوفية والغلاة والمفوضة ، وأهل التثليث ، وسياسة التلبيس ونسبها جميعها إلى الشيخ الأوحد.
2- وقسم من المجتمع يقول : إن الشيخ الأوحد يرى ضلالية علمائنا من المفيد إلى زماننا.
3 - ونسبوا إليه بطلان طريقة الاجتهاد.
4- وآخرون يقولون : إن الشيخ يقول : بأن أمير المؤمنين هو الخالق الرازق بالاستقلال.
5 - وأخرى تقول : إن الشيخ أرجع الضمائر القرآنية ، وخطاب إياك نعبد وإياك نستعين إلى أمير المؤمنين عليه السلام.
6 - إن الشيخ يقول : بعدم العروج الجسماني بل بروحه فقط.
7 - إن الشيخ يقول : بعدم المعاد الجسماني.
8 - إن الشيخ يقول : إن الحسين لم يقتل وإنه شبه لهم كما حدث لعيسى عليه السلام.

ويقدم السيد محمد حسن آل الطالقاني في أطروحته (الشيخية) سيناريو أكثر وضوحاً لحقيقة المؤامرة [4] نلخصها كالتالي :

ضاق القوم ذرعاً من الأحسائي ، ففكروا في الخلاص منه طويلاً وهداهم فكرهم إلى ما اهتدى إليه زملائهم في كربلاء من قبل فأجمعوا على أن أنجع طريقة للخلاص منه هي إثارة زوبعة حوله ، ثم يقول : السيد الطالقاني ((وذلك عمل يحسنونه ويعرفون كيفية التمهيد له والوصول إليه)) وكل هذا التدبير

المحكم كان خلف الكواليس والشيخ الأوحد لا يعلم ، مسترسل في سيرته ونشر علومه.
تداولت الآراء بين علماء العراق وإيران وكان أكثر علماء العراق من الإيرانيين ، وقد تمت الكلمة على الوقيعة بالشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي ، ولكن من يروي الشرارة الأولى ، ومن يملك الجرأة ليسقط شخصية لها كل هذا الرصيد الشعبي والحكومي ، كالأحسائي ؟

وأين المكان المناسب ، هل هو العراق أم إيران ؟
وفي زيارة للشيخ الأحسائي إلى قزوين وكان مقيماً بها إذاك (الشيخ محمد تقي البرغاني) المشهور بالشهيد الثالث . وكان أشهر علمائها والزعامة منحصرة فيه ، والأحسائي في اعتقاد البرغاني لن يعدوا بيته وبنزول الأحسائي ضيفاً عليه سيزيد قدره واحترامه في المجتمع ، وعلى هذا لم يوجه البرغاني دعوة للشيخ الأحسائي ، وفي قبال ذلك كان الشيخ عبد الوهاب القزويني ، وهو من الفقهاء وأئمة الجماعة ومن تلاميذ الأحسائي أيضاً ، ومن عائلة كبيرة إلاّ أنه دون البرغاني سمعة وعلماً . والشيخ عبد الوهاب حينما سمع بقدوم الشيخ أستاذه إلى قزوين أرسل جماعة لاستقباله قرب همدان ودعاه للنزول في منزله فقبل بذلك . فاعتبر (البرغاني) ذلك تكريماً من الأحسائي لتلميذه وحط من قدره هو . تهافت العلماء وسائر طبقات المجتمع على بيت الشيخ عبد الوهاب لزيارة الأحسائي ، وكان الشيخ البرغاني في مقدمة الزائرين وقد عتب البرغاني على الشيخ لعدم نزوله في بيته ، فكان مما قاله : ((إنني أعلم العلماء هنا وكان من اللازم عليك أن تنزل داري بدون دعوة)) . فأجاب الشيخ أحمد : ((إن دعوة المؤمن محترمة شرعاً وإن لم يكن أعلم ، وأنا تابع للشرع لا للأعلمية)) فكان الجواب مؤلماً ومسكتاً ، يقول الطالقاني : فبدأ البرغاني الحقد والوقيعة به من هذه اللحظة . فصار يتحين الفرص على الشيخ الأحسائي ، والأحسائي بدوره كان مسترسلاً على طبيعته في كل مجالسه يتحدث عن نظرياته العلمية وآرائه الحكمية ، كالجسد العنصري ومقامات أهل البيت عليهم السلام و (انشقاق القمر) و (المعراج) ، فحانت البرغاني الفرصة للوقيعة بالشيخ أحمد بن زين الدين ، فأخذ نصوص الشيخ حول كل ذلك وأضاف عليها من عنده كفريات وصار ينشرها بين الناس على أن هذا هو رأي الشيخ أحمد

وساعده على ذلك جماعة من الفضلاء أعداء الشيخ عبد الوهاب القزويني للإطاحة بالاثنين معاً.
ومن جهة أخرى كان على الشيخ الأحسائي أن يرد الزيارة على من زاره ، فذهب هو وجماعة من فضلاء وأعيان قزوين لزيارة الشيخ البرغاني ... ولكن البرغاني في هذه الجلسة أشعل الخلاف حينما سأل الأحسائي عن رأيه في المعاد ، هل هو موافق لرأي صدر الدين الشيرازي أم مخالف ؟ فقال الأحسائي: أنا أرى عكس رأي الملا صدرا في هذا الموضوع ورأيي أن الذي يعود هو الجسد الأصلي ، لا العنصري . وقال البرغاني العنصري غير (الهوروقليائي) وهذا منافي لضروري من ضروريات الدين . فانبرى أحد تلاميذ الأحسائي لمجادلة البرغاني فأسكته . وانفض المجلس بالخلاف والكدر .

وخرج الأحسائي ذلك اليوم للصلاة ولم يحضر معه أحد ، كما كان متبعاً ، سوى تلميذه الوفي الشيخ عبد الوهاب القزويني.

ثم يقول : الطالقاني ونظراً لمنزلة الأحسائي الكبيرة عند الجميع وعظمته العلمية المعترف بها من الكل ، رأى الشاه زادة ركن الدولة علي نقي ميرزا حاكم قزوين أن ما قام به البرغاني اعتداء صريح لا يمكن السكوت عنه . كما خاف على سمعته ممّا ستحدثه الغوغاء من فوضى في أيام حكومته . من هنا حاول حفظ نفسه من التعرض لغضب السلطان فتح علي شاه الذي كان يحبّ الأحسائي ويبالغ في تعظيمه . فماذا سيكون موقفه منه إذا سمع بأنّ الأحسائي أُهين في قزوين وهو حاكمها ؟
وهذه أسباب كلها اضطرته للتدخل بين الرجلين لإنهاء الخلاف وإنهاء المشكلة . وكان مما جرى به أن دعا علماء قزوين إحدى الليالي لتناول العشاء في بيته ، ودعا الشيخ أحمد بن زين الدين كذلك ، كان الشيخ الأوحد جالساً في صدر المجلس حين دخل البرغاني ، ومن المفروض أن يجلس البرغاني إلى جانب الشيخ أحمد بن زين الدين في صدر المجلس كي يناسب جانب اللياقة لعلية القوم ، لكنه جلس بعيداً عنه وترك عازلاً بينهما . وحين الطعام كان من المفروض أن يجلس البرغاني على مائدة واحدة مع الشيخ أحمد . إلا أنه تركها وجلس مع الآخرين . وبعد الطعام تغير ترتيب مقاعد الجلوس فصار البرغاني

قريباً من الشيخ أحمد بحيث يرى كل واحد الآخر . فقام البرغاني فوضع كفه على جانب وجهه ناحية الشيخ أحمد ، كي لا يراه.

بدأ الحاكم الحديث فتكلم طويلاً . وكان مما قاله : إن الأحسائي شيخ العلماء وكبير الروحانيين من العرب والفرس ، وإن احترامه واجب على الجميع ، وإن على البرغاني أن لا يدخر وسعاً في تكريمه وأن لا يتلفت إلى كلمات المفسدين الذين أوقعوا الجفوة بينهما . فرد البرغاني بقوله : ليس بين الكفر والإيمان صلح ولا إصلاح . فللأحسائي في مسألة المعاد رأي يخالف الضروري من أحكام الدين ، ومنكر الضروري كافر . فبذل الحاكم كل جهد ممكن في إخماد الفتنة ومعالجة الموقف إلاّ أنه فشل وأكد البرغاني تكفيره للأحسائي وخرج.

الكاتب: **الشيخ سعيد محمد القريشي** **المصدر:** **موقع الشيخ الأوحد**

---

(1)ذكرهم صاحب كتاب الشيخية ، مرجع سبق ذكره ، ص 95-100 ضمن سياق الكلام.
(2)الرشتي ، السيد كاظم ، دليل المتحيرين ، ط 1 ، (د ، ت ، ن) ، مكتبة الإمام الصادق عليه السلام ، الكويت ، ص 38.
(3)مرجع سبق ذكره ، ص 40-42.
(4)مرجع سابق ذكره ، الشيخية ، ص 95-100.

تاريخ الفكر الحكمي لمدرسة الشيخ الأوحد 3

لم يكن الشيخ أحمد بإجماع [1] المؤرخين ، قاصداً تكوين مدرسة فلسفية ، إلاّ أن الذين درسوه وجدوا كل مقومات الفكر المدرسي متوفراً لديه، وأنا أقول:

إن الشيخ أحمد وإن لم يكن قاصداً تكوين مدرسة فلسفية بالصيغة الراهنة ، إلاّ أنه كان يعي تمام الوعي بأنه يقوم بحركة إصلاح فكرية على الصعيد الفلسفي الإسلامي والشيعي على وجه الخصوص . ونجد ذلك جلياً في رسائله وكتبه . فمن هنا نجد أنه شئنا أم أبينا ، أن مدرسة الشيخ أحمد قد اكتملت في المنهج والمضمون والأهداف وقد شارك في بنائها عشرات التلامذة مع أستاذهم المؤسس.

أما دور المؤسس الشيخ أحمد في هذه المدرسة الفكرية العظيمة ، كالتالي:

(أولاً) : لقد أبرز في شرح الفوائد منهجاً متكاملاً من القرآن والسنة الشريفة بحيث غدا طريقاً سليماً لكل تلامذته في حياته وبعد مماته وأخذ هذا المنهج من الروح القرآنية كل كيانه ومفرداته ، فنجد أنه قسم منهجه الحكمي إلى قسمين ، قسم للاستنباط الفلسفي من القرآن والسنة ، وقسم ما توصل إليه من حقائق.

القسم الأول من منهجه يعتمد على ركيزتين أساسيتين:

أ) الاستنباط الفلسفي من القرآن والسنة والعقل في إطار القرآن والسنة للقرآن والإجماع .
ب) من ذلك ما وافق القرآن أخذه وما خالف تركه ولكن ليس على نحو الطريقة الإخبارية ، بل بإعمال العقل ضمن (النص) ، أي جعل تابعية العقل للقرآن والسنة [2].

القسم الثاني من منهجه قسمه إلى [3]:
أ) دليل الحكمة.
ب) دليل المجادلة بالتي هي أحسن.
ج) دليل الموعظة الحسنة.

وكل واحد من هذه الأدلة له وظيفة محددة حين استخدامه في عرض الحقائق.

- فدليل الحكمة يراد منه إيصال الحقائق على ما هي عليه في الواقع وفي المفهوم ونفس الأمر .. حيث يراعى فيه الإقناع ، لا المغالطة الفلسفية .
- أما دليل المجادلة فيراد منه إسكات أي خصم بقواعده المقررة لديه على نحو الحق، وليس المماراة .
- ودليل الموعظة الحسنة ، فهو يستخدم في علم الأخلاق لتمييل القلوب نحو حقائق الإسلام الأخلاقية.

(ثانياً) : ساهم الشيخ أحمد بالكتب الأصول التي أسست ودعمت بزخم هذه المدرسة الناشئة في صراع المدارس الفلسفية الأخرى المتصارعة ، كمدرسة صدر المتألهين وقبلها مدرسة (السهروردي) والمدرسة الصوفية وعلى رأسها ابن عربي . من هذه الكتب المهمة ((شرح الفوائد)) و ((وشرح المشاعر والعرشية)).

(ثالثاً) : أوضح بأنه ليس تابعاً لصدر المتألهين كما ادعى بعض من ترجم للأحسائي وذلك [4] لما قام به الأحسائي من رد عنيف فكرياً على الشيرازي في شرحه على كتابيه ((العرشية و المشاعر)) وتصريح الأحسائي في مجالسه بذلك مراراً وتكراراً ، بأنه يخالف صدر المتألهين وجميع الحكماء الآخرين في كثير من المسائل.

(رابعاً) : اتضح من منهجه الذي صاغه في ((شرح الفوائد)) بأنه لا يرى مسألة (التوفيق بين الفلسفة والشريعة) كما توهم كثير من الذين ترجموه [5]. لقد حدد الأحسائي رأيه بأنه يؤمن بالعقل وعمله ضمن النص وليس عملية

اللصق الذي أجراها ابن رشد [6] وغيره بإيجاد المتشابهات حتى يقنعوا الفقهاء بأنهم لا يخالفون الدين بفكرهم الفلسفي.

(خامساً) : بين الأحسائي في ((شرح الفوائد)) و ((شرح الزيارة)) و((شرح العرشية والمشاعر)) نظريته في توحيده للخالق سبحانه وتعالى . فقد خرج الأحسائي على الساحة العلمية وكان أثمن ما يحمل في جعبته الحكمية ، توحيد الواجب الوجود . وهذا ليس نفياً لإبداعاته في الفلسفة والعلوم الأخرى ، بل على نحو المهم والأهم والغالي والأغلى.

إن مسألة التوحيد عند الأحسائي ليست موضوعاً فلسفياً يمر مرور الكرام كما يبحث في أكثر المدارس الفلسفية ، إن تلك المدارس لا تعطي أهمية التوحيد بحثاً وتحقيقاً ، بل نعني أن الشيخ أحمد الأحسائي ركز في كتبه على أن مسألة التوحيد بما تحمله تلك اللفظة من الدلالات الكثيرة والتي هي جامعٌ لمسائلٍ عديدة . مسألة محتاجة إلى تتميم وقد حان تتميمها في وقته ، كما أكملت المسألة الفقهية والحديثية والأصولية كل في وقتها على أحسن وجه وليس مطلقا.. بمعنى اكتفائها عن الإتمام اللاحق.

ومن ناحية ثانية أصر شيخنا على ضرورة الأخذ من القرآن والسنة في مسألة التوحيد. كمصدرين أساسيين في المسألة التوحيدية .. لأنه من ابتعد عنها ، قد يشطح بعيداً عن شاطئ التوحيد المقصود قرآنياً في قوله تعالى : ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ))[7].

وهذا الأخذ ليس نفياً لاعتبارية العقل في مسألة الاعتقاد ، بل جعلهما ، أي القرآن والسنة موضوعاً لعمل العقل ، بمعنى استنباط الحقيقة التوحيدية القائمة على العقل من الكتاب والسنة ، أي حلبة العقل هو القرآن والسنة ، فيهما لا يشاهد ، والعالم الآفاقي معهما فيهما يشاهد من الكون المحسوس ، وفيهما يبصر بالبصيرة يدخل العالم الأنفسي كمسبار عرفاني للتوحيد لقوله تعالى : ((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ))[8].

ومن ناحية ثالثة أقام الشيخ أحمد مدرسته الحكمية على أصول يقينية وموضوعية ، بمعنى أن الفلاسفة الآخرين وإن كانوا متيقنين من حقائقهم الفلسفية إلا أنهم لا يقصدون فيها على نحو العلم الرياضي ،

أي اليقين الرياضي والشيخ الأحسائي على العكس منهم فهو يعتقد بحقائق حكمته على هذا النحو من اليقين في حكمته [9] . فإذاً نستنتج أن الشيخ أحمد قدم فلسفته على أنها علم وليست تخرصات فلاسفة .. والسبب في ذلك قوله أنه أخذها من أهل البيت عليهم السلام لذلك أخذها من مصدر صافٍ ومعقلنة بعقل كلي لا يخطئ.

من هنا الأجدر أن تسمى مدرسته ، مدرسة حكمية لا فلسفية مصداقاً لقوله تعالى : ((وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً))[10] وليس من الممكن أن يعطي الله عباده أوهام فلاسفة وتخرصات متفلسفة ، بل يعطيهم اليقين والطمأنينة والرؤية الصافية للوجود ، كما قال الإمام (ذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بقدر الله لا نفاد لها وذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون نتنه تفرغ بعضها في بعض)[11] على العكس من الفلاسفة الآخرين ، فلسفتهم كلها ظنون وإن يقدمونها على أنها يقين ، فهي تنمو عرضياً لا عمودياً.

ومن ناحية رابعة طبق شيخنا منهجه الحكمي كاملاً على كتابي صدر المتألهين (العرشية والمشاعر) وأبان فيهما مقدار صوابية رؤيته ورؤية الملا صدرا للوجود والإنسان.

فهو اختار أرقى مدرسة فلسفية في عصره شكلت منعطفاً مهماً في المجتمع الشيعي والإسلامي والعلمي. أعمل فيها مبضعه النقدي بشكل مميز على من سبقه في نقده للمدارس الفلسفية . ليبين عدة أمور من هذه النقودات والاختيار:

أولاً : هل فعلاً المدارس الفلسفية التي تدعي وصلاً بأهل البيت عليهم السلام هي فعلاً كذلك أم لا .

ثانـيـاً : كم مقدار أخذهم من أهل البيت عليهم السلام ، هل العشر أم الربع أم النصف أم بالشكل الكامل .

ثالـثـاً : بيان وهن الكثير من النظريات الفلسفية التي سيطرت على عقول أصحاب تلك المدارس .

رابعاً : بيان جوهر فكر أهل البيت عليهم السلام ونظرتهم للوجود ولله وللإنسان بشكل منطق القرآن .لا منطق اليونان والمنطق الأرسطي .

خامساً : المعطيات العظيمة للقرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام لو رجعوا معهما بشكل صحيح وقد بين ذلك في كتبه بشكل مفصل فراجع .

سادساً : قدم منهجاً للتأول أصيلاً [12] يوصل للمدلول السليم المقصود من كلام المعصوم عليه السلام خلافاً للمناهج الأخرى الموصلة للنتيجة الموافقة لقوانين المنطق الأرسطي ومسلمات الفلسفة اليونانية.

الكاتب: الشيخ سعيد محمد القريشي **المصدر:** موقع الشيخ الأوحد

---

(1)إجماع محصل من الاستقراء الطويل للكتب والدراسات حول الشيخ الأوحد.
(2)راجع دراستنا حول مدرسة الشيخ أحمد الأحسائي الفلسفية المطبوعة مع حياة النفس في حضرة القدس ، ص 21 ، طبعة – بيروت.
(3)راجع دراستنا المذكورة آنفاً حول مدرسة الشيخ الفلسفية ، ص28.
(4)مرجع سبق ذكره ، الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها ، ص15
(5)الشخص ، هاشم محمد ، أعلام هجر ، ط1 ، 1990 ، مؤسسة البلاغ ، بيروت ، ص179 ج1.
(6)العوا ، عادل ، المذاهب الفلسفية ،ط، ، جامعة دمشق ، دمشق ، ص
(7)سورة الإخلاص.
(9)سورة فصلت : 53.
(10)راجع دراستنا (حكمة إسلامية لا فلسفة يونانية.)
(11)سورة البقرة : 269.
(12)الشيخ محمد الكليني ، الكافي ، ج 1 ، ص 184.

تاريخ الفكر الحكمي لمدرسة الشيخ الأوحد 4

(مرحلة العودة و الازدهار): تميزت هذه المرحلة من تأريخ مدرسة الشيخ الأحسائي بعودة الازدهار من جديد بعد مرحلة النكسة المفاجئة التي منيت بها، على أيدي خصومها في حياة مؤسسها الأحسائي. وحمل راية هذا الازدهار أعلام مميزين في العلم والتقوى والشهرة في المجتمع الشيعي الحوزوي، وعلى رأسهم السيد كاظم تلميذ الأحسائي الأول بلا منازع، حيث يتصف بالموسوعية في هذه المدرسة بعلومها المختلفة، وخصوصاً الحكمية منها. والآخر المميز في هذا الجانب هو الشيخ علي نقي ابن الأحسائي نفسه، والميرزا حسن كوهر، والممقاني حجة الأسلام. ...

(2) السيد كاظم الحسيني الرشتي:

ولد السيد كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي سنة (1212هـ) في مجتمع مخالف لمجتمع أستاذه الشيخ أحمد بن زين الدين، فمجتمع إيران بشكل عام يتميز بظهور العلماء فيه فلم يكن غريباً ظهور مثل السيد الرشتي (قد) وبروزه فيه، ولكن الغرابة كل الغرابة كيف ألتقى واحد من مجتمع علمي مع واحد يراه الإيرانيون من مجتمع متخلف علمياً حتى لحظة كتابة هذا النص، وهو السر الذي سيحدثنا عنه السيد الرشتي نفسه، يقول السيد الرشتي وكان الكلام موجهاً لتلامذته في محضر درسه : لما كنت في ليونة الشباب و بكورة الحياة قبل أن أعانق ما يسمونه التكليف و التشرف بتحمل خطابات الرب الحكيم . كنت ألتهم الكتب و المراجع العلمية ، بل أسعدني المولى الجليل بالسيطرة التامة عليها فأشرحها دون أستاذ ، كما يحتاج الطلاب الآخرون .بل من تمكني منها استطعت كتابة حواشي عليها شرحاً و نقداً.

صارت لي شعبيتي بين الطلاب في "رشت" صاروا يقصدوني للحوار العلمي في تلك الكتب من أجل التلاقح العلمي . و لكنيّ لم أشبع بهذه الكتب ، كان هناك جوع دائم للمعرفة، وهذه معرفة سطحية، وأنا نهم علمٍ لا يرتوي. هاجس بداخلي شديد الاشتعال يهمس في أذني : ترقى يا كاظم في العلم ، ترقى ..... ترقى. ! ....

في يوم حظي و سعدي شاء الله سبحانه و تعالى أن أقرر الترقي في العلم، مهما كان الثمن باهظاً، مهما كان الطريق صعباً. و لكن فيما أتخصص، في الفقه و الأصول، أم في الحكمة ؟

فقلت في نفسي :

لا بدّ لك من اختيار أحدهم .

فقلت :

إن شرف العلم يعرف من حامله فنظرت إلى فلاسفة الدنيا فرأيتهم يعربدون لهواً ولعباً وميلاً إلى الظلمة والفسوق . .

فقلت في نفسي :

لا خير فيهم فتركتهم ،ونظرت إلى فقهاء السلطان و الدنيا فوجدتهم يحبون في طلب الرئاسة الدنيوية وإظهار التشخص و الأنا والتعين .

تركت الجميع وغمرني حزن و كأنه ملأ الدنيا و الوجود كآبة في عيني ، توجهت إلى ربي خاشعاً متضرعاً، وقد بلغ مجهودي نهايته .

ما الطريق ؟

ما الحق والحقيقة ؟

اهدني ربي فإن لم تهدني سوف أغرق مع من غرقوا في طوفان الضياع .

تركت بحوثي وتغيرت أحوالي والقوم في شأن وأنا في شأن آخر ، الناس يظنون إنّي لاهٍ في دروسي وأنا سابح في بحور من الهموم.

ولكنّي عاقل أفهم روح المجتمع ومذاقه في التفكير السطحي لذلك لم أظهر همومي لأحد أبداً وإلاّ لسفهوني ، ولم أزل على هذه الحالة من التموج وعدم الاستقرار أربعين يوماً حتى زارني المرض وعسكر في جسدي المنهك من التفكير و الطموح . رق عليّ أهلي، فأتوا لي بطبيب .

وهل الطبيب يستطيع علاج رجل يعشق المعالي مثلي ؟ آه من هذا الطبيب آذني بشرب دوائه المنغرس في شوائب الطبيعة . وأنا أريد السفر نحو المحبوب .

أليس من الغرابة في مكان ، أن الطبيب يعالج من جهة ومرضي يزداد كل يوم من جهة أخرى ، لجهل الطبيب ما يعتلج من بركان الحب للمحبوب الحقيقي داخلي .

فقلت في نفسي:

أخرجُ من البلد ، أخرجُ من هذه الغربة، وأترك أمري إلى الله .

فقلت لأهلي :
إن هناك مكاناً يقصده المنهكون مثلي فيه عين حارة . إذا استحم الشخص فيها يشفى بإذن الله فأذنوا لي فسافرت إليه وكان الطقس شتاءاً وعندما وصلت إلى البلد المعينة بدأت بختم دعاء نصير الدين الطوسي، وختمه قسمان .
ولما انتهيت سمعت وأنا في الطيف هاتفاً يقول لي :
ما تريده عند الشيخ أحمد .
انتبهت من نومي وقلت :
من هو الشيخ أحمد، ومن أين اعرفه ؟
في الطيف مرة أخرى والهاتف يقول لي :
مقصودك عند الشيخ أحمد وهو موجود في مدينة "يزد. "
انتبهت من نومي وقلت في نفسي :
إن الشيخ أحمد في يزد ، لكن من هو القائل في الطيف ؟ ومن يكون ؟
هل هذا النداء من الرحمن أم من الشيطان ؟
في الطيف مرة ثالثة و لكن هذه المرة ، أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام قد حضروا . فقال الأمير (ع):
مطلوبك عند الشيخ أحمد الأحسائي في "يزد" وهو عالمنا في الأصول والفروع وهو عالمنا في الظاهر والباطن.

فقلت و أنا في الطيف :
يا مولاي صفْ شكله حتى أكون على بصيرة ، فوصفه لي من رأسه إلى قدمه ، فقلت له :
كيف يمكن المسافرة إليه ، فقال :
يتيسر لك .
فقلت :
من كان يناديني مرتين .
قال :
أنا .
انتبهت من نومي ورجعت إلى بلدي وقلت لأهلي :
إنني سوف أذهب إلى "يزد" لطلب العلم فأنكروا علي أشد الإنكار ، ثم قالوا :

إن كنت تريد العلم فاذهب إلى كربلاء المشرفة أو أصفهان ، ولكن لما أظهرت لهم ما في ضميري ورؤياي في الطيف وإصراري على السفر بنوا على الاستخارة لله فخرجت الآية التالية [قل إنما أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت أن أكون أول المسلمين] الزمر / 11 ، 12.

بعد هذه الحادثة سافر السيد إلى "يزد" للتتلمذ على يد الشيخ الأحسائي[1].
وتتلمذ السيد كاظم على يد الشيخ الأحسائي بعدما أنهى دروس السطح، فكان خير تلميذ لخير أستاذ.

من هنا كل علوم الرشتي الفلسفية والحكميّة ـ من حيث الخطوط العريضة ـ أخذها من الشيخ الأحسائي، مع عدم نكراننا لإبداع السيد الرشتي الذي سنتحدث عنه مفصلاً لاحقاً .
ومن ناحية تاريخية لتوثيق الأحداث التي جرت للأحسائي، كان الرشتي أجدر من يوثق الوقائع التاريخية للأحسائي .. لشدة ملازمته له ولتتلمذه على يديه.

مقام السيد كاظم العلمي والاجتماعي:

يقول (الألوسي):
{لو كان السيد يعيش في عصر يحتمل فيه ظهور نبي أو رسول مرسل ، لكنت أول من آمن به .. لأن جميع الشروط اللازمة :
(1 من العلم الغزير .
(2 والعمل بالأخلاق.
(3 وأصول العقائد .
(4 والسجايا المعنوية .
متوفرة فيه[2]}

بلغ السيد كاظم من المقام مالم يبلغه أحد من قبل من جيله ، لذلك لن نخرجه عن واقع المؤامرة التي حيكت لأستاذه بإتقان محكم. فسيناريو المؤامرة طبق عليه بعد أستاذه الأحسائي، كما يروي لنا هو في دليل المتحيرين.

و مشكلة السيد الرشتي مع المجتمع الحوزوي طرحه لفكر أهل البيت بشكل مفصل و عميق فوق مستوى معاصريه الفلسفي الذين ليس لهم أنس بالحكمة و مقامات أهل البيت (ع)، فما كان يعتبر سراً عند أهل البيت في كثير من الأزمنة طرحه وكأنه حق للجميع عليهم الأخذ منه والإيمان به، وهذه نقطة جوهرية بين الرشتي والأحسائي، أي أن الأستاذ كتم والتلميذ أباح وبالتفصيل المسهب، مما حدا ببعض المترجمين له بأن يتهموه بالخروج على منهج الشيخ الأحسائي وعقائده.. لأنهم لم يفهموا كلام السيد و نصوصه الحكمية.

من هنا نقول: أن الشيخ تفرغ للرد على الناس وإجابتهم ، أما السيد الرشتي تفرغ لأن يفصل أكثر فأكثر في مدرسة الشيخ الأوحد لأنها مدرسة وليدة على الساحة العلمية، وهي محتاجة لفهمها أكثر من ناحية، و من ناحية أخرى لاستكمال المهمة الإصلاحية التي قام بها الشيخ الأحسائي في الفلسفة العربية و الإسلامية وفق المنهج والأسس ذاتها، وإن اختلفوا في الاجتهاد.

والآن يأتي السؤال ؟

أ ـ هل السيد الرشتي أعظم من الشيخ الأحسائي .. لأنه فصل بهذا الشكل العميق والمذهل في العلم و الحكمة ؟
مما لا شك فيه، لا فالشيخ الأحسائي أعظم من تلميذه السيد الرشتي علمياً للأسباب التالية:
(1 لكونه المؤسس للمدرسة.
(2 اعتراف السيد الرشتي في "دليل المتحيرين" بعظمة أستاذه العلمية.
(3 كتب السيد عيال على كتب الشيخ الأوحد، وإن كانت مفصلة.

ب ـ هل السيد كاظم يخالف أستاذه في المنهج و العقائد، أم لا ؟
السيد الرشتي لم يخالف فكر أستاذه المدرسي للأمور التالية:
(1عندما نقرأ كتب السيد الرشتي نجد أنها تتبنى كتب الشيخ الأوحد وتدافع عن فكره .

(2 نستطيع أن نستدل على كل رأي في كتب السيد الرشتي من نفس منطلقات أستاذه الأحسائي .وهذا دليل على أن مدرسة السيد كاظم الرشتي نفس مدرسة أستاذه الأحسائي .

(3 إن الشيخ الأحسائي لم يعطِ إجازة لأحد في الحكمة مخالف لفكره، ولكنّه أعطى إجازة للسيد ومجده وقال " ولدي كاظم يفهم وغيره لا يفهم " أي يفهم في كتبه و مدرسته .

(4 إن تلاميذ الشيخ الذين عاصروه وعاصروا السيد لم يقولوا أن السيد الرشتي مخالف للشيخ الأحسائي في منهجه أو عقائده، بل على العكس رجعوا له كمرجع أشبه بالوحيد في الفهم العميق والمطلق لمدرسة أستاذه. ولكنيّ اعتقد أن هذه الشبهة جاءت من خصومهما.. لفك المدرسة عن أعلامها المميزين كالسيد الرشتي.

الكاتب: **الشيخ سعيد محمد القريشي** **المصدر:** **موقع الشيخ الأوحد**

---

(1)نقلنا هذه القصة وحولناها بتصرف إلي نص أدبي ، عن الإجازة بين الاجتهاد و السيرة ، الحائري ، آية الله الميرزا موسى ، ط1 ، (د، ت ، ن) ، ص 58.

(2)كوربان ، هنري ، مدرسة الشيخ أحمد الأحسائي ، ط1 ، 1998 م ، مؤسسة أم القرى ، (د ، م ، ن) ، ص 79 . ترجمة : خليل زامل.